

كي لا تغرق السفينة!

وفاء صلاح



أعلم ذلك.
أريد أن أدرس مادة التاريخ.
وفاء (بكل قسوة) إنت بنت، والبنت أو بنتي أنا لن تدرس
في الجامعة.
أبي، لم لا؟ فأنا سأدرس المادة التي أحببتها دوماً.
وفاء، انتهى الأمر، كلية الطيرة هي المكان الوحيد الذي
ستدرسين فيه، وستدرسين تخصص رياض أطفال، هذا
أمر وليس اقتراح، انتهى الموضوع.

يا إلهي ما الذي أسمع؟ أحلامي تتبخر في سماء كانت
قبل أيام معدودة ملونة بجميع الألوان، لتصبح اليوم بلون
واحد فقط، غيوم سوداء. لا، ولن أقبل بأن تضيق أحلامي،
سأحاول أن أحقق حلمي سأضغط بكل الطرق، فلن أتناول
الطعام بعد اليوم. سأرفض الطعام وسأموت، لن أذهب
إلى كلية الطيرة، لا أريد أن أدرس فيها، سأصرخ بأعلى
صوتي أكره رياض الأطفال، درست اثنتي عشرة سنة،
سهرت فيها الليالي لأسمع في نهايتها صرخ الأطفال
وبكاءهم وصوت تحطيم ألعابهم، لا لن أفعل فالموت أرحم.

يتبدل حال بيتنا، فأنا لا أتناول الطعام، ولا أحدث أحداً
بشيء، أمي تبكي على حالي، ولا تكف عن قولها: تناولي
الطعام يا ابنتي لأجلي أنا، فهذا قدر ولن يتغير، لن

دقات قلبي تتسارع، صوت في داخلي لا يكف عن التساؤل:
هل سأنجح أم إنني سأرسل؟ هل سيعمل رسوبي في
الثانوية العامة على تمزيق أحلامي؟ غداً ... أجل غداً
ستعلن نتائج الثانوية العامة، وسيرافقها تقرير المصير.

ليل اشتد سواده وهواجسه، عيوني ترفض النوم ولو
للحظة، كفى ... يا الله متى سيأتي الصباح؟ أريد أن
أتخلص من ذلك العبء. أريد أن أعرف ماذا تخبئ لي
الأيام. ها هو الصباح يأتي بعد طول انتظار، انتظار
شعرت بجماله بعدما ذقت طعم النجاح.

أمي افرحي، جدتي زغردي، فأنا قد نجحت، وها هي أيام
السهر والتعب تكافئني، أيامي تكلت ببياض الياسمين،
هنا سأبدأ برسم حياتي بيدي، وسأواظب على النجاح
ليكون حليفي. افرح يا أبي، لقد نجحت ...

أبي يرد قائلاً: «أعلم ... مبروك».

مرت أيام معدودة على نجاحي، سأدرس مادة التاريخ في
الجامعة، فأنا اعشق هذه المادة كثيراً.

أبي، لقد فتح باب التسجيل في الجامعة.

تدرسي التاريخ في الجامعة.

استيقظ أول يوم دوام في الكلية ككهل يحمل هموم السنين، طوال اليوم وأنا أتساءل: متى سينتهي هذا اليوم. أقف في باحة الكلية وأتلفت يميناً ويساراً متسائلةً والدموع تملأ عيوني: هل سأقضي عامين في هذا المكان الذي لم أفكر به يوماً؟

انتظر الجرس ليقرع لكنه تأخر، تأخر كثيراً. تقترب مني إحدى طالبات الكلية قائلة: ما هو تخصصك؟ أجيبها بصوت خافت وبنبرة خجولة، رياض الأطفال. تبسم ثم تتابع قولها، توجهي إلى هناك ولا تنتظري بأن يقرع الجرس، فهذه كلية، وليست مدرسة.

أذهب إلى قسم رياض الأطفال بخطوات ثكلى، ها أنا قد وصلت، هنالك روضة بالجوار، صراخ ... بكاء ... وهنا بدأت الحكاية.

مرت الأيام لتمطر الغيوم السوداء مطراً يروي في داخلي حبي للأطفال، وتبته عاطفة تفوق الآفاق، رويداً رويداً بدأت أحب ذلك التخصص الذي اختاره لي أبي، فبدأت

أدرس بجد ومنتعة، وفي كل فصل أحصل على درع شرف وامتياز.

تعلمت أن تعليم الأطفال وتربيتهم أمانة ومسؤولية يمنحها المجتمع للمعلمين فالأطفال شتلات الله التي تزرع في الأرض، وما فيها من تربة ورعاية، سيحدد الشكل الذي ستنمو عليه هذه الشتلات.

أنهيت دراستي وعملت مربية أطفال في روضة قريبة من منطقة سكني، أحببت جداً عملي، وحاولت دائماً أن أكون متجددة مع أطفالتي، حتى التحقت في دورة لمؤسسة عبد المحسن القطان، كانت روضتي قد رشحتني للانتساب إليها، دورة قدمت لي أساليب جديدة في التعليم؛ تعليم يعتمد على الدراما والعمل بالمشاريع.

لم أشعر بالقيمة الكبيرة لما تعلمته من الدورة إلا بعدما قدمته لأطفالي، واختبرته أنا وإياهم في الروضة، تغيرت حينها كل نظرتي لقدرات أطفالتي، والممكنات الكبيرة التي يمتلكونها. فأذكر مشروع القراصنة الذي بدأته من مجسم لسفينة وضعته في وسط غرفة الصف، حيث انجذب الأطفال له، وجعلهم يطرحون العديد من



جانب من تطبيقات التربية وفاء صلاح مع أطفالها في روضة «دار المعرفة» في كفر عقب.



كبيرة جداً ويجب تقليل الوزن عبر التخلي عن كامل الأغراض والحقائب. يحمل الأطفال في دور القراصنة حقائبهم المليئة بالأغراض ويتأهبون لاتخاذ القرار، هل التخلي عن ممتلكاتنا وذكرياتنا لحظة الخطر يساعدنا في النجاة مدى الحياة؟

في لحظة مليئة بالإثارة والتحدي والمغامرة والتعلم، يقف الأطفال أمام خيارات صعبة، عن أي الأشياء نتخلى لأجل الحفاظ على الحياة، نتخلى عن أغراض الماضي أم عن الكنز وأحلام المستقبل؟! تعلم الأطفال أن أحد معاني العيش هو أن نتخلى عن الأشياء عندما لا نستطيع حملها، وهذا ما تعلمته منهم ومعهم. أيضاً، على المعلمة أن تتخلى عن أحلام (تخصص التاريخ) لكي تصبح معلمة حقيقية.

رمى الأطفال في البحر ما يتقل على سفينتهم وعلى حياتهم، قرروا أن يتخلصوا من الأشياء التي لم تعد ذات قيمة كبيرة مقارنة بقيمة الحياة، وكذلك أنا المعلمة رميت ما أصبح مجرد ماضٍ يعيق رحلتي كمرية أطفال، فما كان حلماً لم يعد ذا قيمة مقارنة بقيمة هؤلاء الأطفال.

روضة دار المعرفة-كفر عقب



الأسئلة حوله، ويتبادلون المعرفة بخصوصه، فتحدثوا عن أن السفينة هي من المواصلات البحرية، يقودها شخص يسمى القبطان، تنقل البضائع والركاب من مكان إلى آخر عبر البحر.

بدأت رحلة التخيل، فكان على الأطفال أن يتخيلوا أنفسهم الأشخاص الذين يعملون على سطح السفينة ويذهبون في مهمة ما، فتخيلوا أنفسهم يحضرون الأدوات التي يجب أن تحتويها السفينة، ثم قسموا المهام اليومية التي يقوم بها كل فرد منهم، فمثلاً كان منهم الطباخ ومساعدوه، وآخرون ينظفون مرافق السفينة، وآخرون في غرفة القيادة يتابعون حركة السفينة

أصبحت السفينة جاهزة للسفر، فحان موعد تحضير الحقائب، صمم الأطفال حقائبهم، وفكر كل منهم بأكثر الأغراض أهمية ومعنى له، ليضعها في حقيبته لتلائمه طوال الرحلة، بحيث تذكره بأشخاص يود أن لا يغيبوا عنه. فكانت من بين الأغراض صورة عائلية، زهرة في أصيص، عقد، دمية، نظارة شمسية

تصل الدراما ذروتها حين يهيج البحر والسفينة تراوح بين النجاة والغرق، فيعلن قبطان القراصنة أن حمولة السفينة

